

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وببدأ خلق الإنسان من طين، ثم سوأه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته المقربين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الخلق لعبادته وهو الغني عما يعملون، وأمرهم بطاعة ربهم وهو أعلم بما يفعلون، وأشهد أن سيدنا ونبيانا محمداً عبده ورسوله، النبي الأوّل الأمين، أرسله ربُّه رحمة للعالمين، وسراجاً للمهرتين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيما عباد الله:

اتقوا الله تعالى وأعملوا أنكم تعاملون ربكم كريماً، غفوراً رحيمًا، أحسن إليكم غاية الإحسان، وخصكم بنعمته التي لا تعد ولا تحصى، ولا يكافي إحسانه إحسان، ولا يقارن إعماه بإنعام، ألم يهبكم عقولاً بها تقهون؟ وأيدياً بها تعملون؟ وأرجلاً بها تمشون؟ وأسماءاً وأبصاراً بها تسمعون وتتصرون؟ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾^(١)، فواعجبا للإنسان مع نعم الرحمن التي يتقلب فيها، كيف يصرف نفسه عن شكره وعبادته! ويعرض عن هدایته وطاعته! ﴿يَتَأَيَّهَا إِلَيْنَنْ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيرَ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَكَبَكَ﴾^(٢)، فعلى العاقل أن يقابل هذا الإحسان الإلهي بالطاعة والبعد عن الكفران، وهذا ما يقتضيه الشرع والعقل والفترة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٣).

أيها الإنسان:

استمع إلى ربك وهو يأمرك بالإحسان فيقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ

(١) سورة النحل / ٧٨ .

(٢) سورة الانفال / ٦ - ٨ .

(٣) سورة الرحمن / ٦٠ .

ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾١﴿، وَاسْتَبِنْ مَعْنَى الإِحْسَانِ مِنْ إِجَابَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لِجِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى الإِحْسَانِ؟ فَقَالَ ﷺ : ((الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))، فَمَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَبِهَا أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُبَارِ الْمُصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ، كَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِلْيَاسَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَثْبَتَ مَحَبَّتَهُ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهَا قَالَ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾٢﴿، وَجَعَلَ ثَوَابَ الإِحْسَانِ مُعَجَّلًا غَيْرَ آجِلٍ فَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَنَحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طِيبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾٣﴿، إِنَّ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ مَكْفُولٌ بِقِوَلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾٤﴿.

مَعَاشُ الْمُؤْمِنِينَ:

لَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَانًا وَاضْعِحًا بِأَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعُقْبَى لِمَنْ رَأَى الإِحْسَانَ فِي ظُلُلِ الإِسْلَامِ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ، لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ، عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾٥﴿، وَيَقُولُ أَيْضًا: ﴿وَمَنْ يُسْلِمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوقَ الْمُؤْمِنَةِ وَلِلَّهِ عَرِقَةُ الْأُمُورِ﴾٦﴿، وَبِهَا تَوَسَّعُ دَائِرَةُ الإِحْسَانِ لِتَشْمَلَ ضُرُوبًا كَثِيرَةً؛ فَإِحْسَانٌ فِي التَّعَامِلِ مَعَ الرَّحْمَنِ، وَإِحْسَانٌ فِي التَّعَامِلِ مَعَ بَنِي الْإِنْسَانِ، فَلَتُحْسِنَ مُعْنَقَكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - فَلَا تَعْنَقْدُ فِي رَبِّكَ إِلَّا صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، وَلَنْتُحْسِنَ عَلَاقَتَكَ بِمَوْلَاكَ فَلَا تَجْحَدْ نِعَمَهُ وَلَا تَتَهَاوَنْ فِي التَّقْرِبِ إِلَيْهِ، وَبَادِرْ إِلَى فِعْلِ مَا يُحِبُّهُ، ذَلِكَ لَأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) سورة النحل / ٩٠.

(٢) سورة البقرة / ١٩٥ .

(٣) سورة النحل / ٩٧ .

(٤) سورة التوبة / ١٢٠ .

(٥) سورة البقرة / ١١٢ .

(٦) سورة لقمان / ٢٢ .

إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتَقْنَهُ، فَكَمْ مِنْ عَامِلٍ عَمَلاً يَظْنُ أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْمُتَقْنِينَ، وَهُوَ عَلَى إِحْسَانٍ كَاذِبٌ، أَوْ خَادِعٌ، وَكَمْ مِنْ أَنَّاسٍ يَأْتُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَظْنُونَ أَنَّهُمْ بِهَا قَدْ أَحْسَنُوا فَإِذَا بِهَا تُرَدُّ عَلَى وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، «قُلْ هَلْ نُنَيْشُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا»^(١)، ذَلِكَ لِأَنَّهَا خَلَّتْ مِنْ شَرَائِطِ قَبْوِ الْأَعْمَالِ، الَّتِي مِنْ أَعْظَمِهَا أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِلُ عَمَلاً أُشْرِكَ بِهِ غَيْرُهُ «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^(٢)، إِنَّ مِنْ شُرُوطِ الْإِحْسَانِ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، مِثْلَمَا شَرَعَهُ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ ، نَعَمْ فَكَمْ مِنْ مُصْلِّ غَيْرُ مُصْلِّ، وَكَمْ مِنْ صَائِمٍ غَيْرُ صَائِمٍ، وَكَمْ مِنْ مُزْكِّ غَيْرُ مُزْكِّ، وَكَمْ مِنْ حَاجٍ غَيْرُ حَاجٍ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ جَاءَ بِهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ الصَّحِيحِ، لِذَلِكَ كَانَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجَدَ ذَاتَ يَوْمٍ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلًّا، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ؛ فَرَجَعَ فَصَلَّى كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلًّا، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ - ثَلَاثًا - فَقَالَ: وَالَّذِي بَعْنَكَ بِالْحَقِّ لَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِمْتِي، فَقَالَ: إِذَا قَمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكِبِّرْ، ثُمَّ اقْرُأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ رَاكِعاً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَ جَالِسًا؛ وَافْعُلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلُّهَا))، وَهَذَا قَالَ ﷺ: ((رَبُّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطْشُ، وَرَبُّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ))، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - لَهَا شُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ، وَوَاجِبَاتٌ وَسُنْنَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طُرُقِ تَرْفُعِ صَاحِبِهَا فِي مَدَارِجِ الْكَمالِ وَنُوْصِلِهِ إِلَى مَعَارِجِ الْآمَالِ.

اَخْرِصْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ -، عَلَى أَلَا تَقْدِمَ اللَّهَ تَعَالَى الْعَمَلَ الرَّدِيءَ النَّاقِصَ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى تَقْدِيمِ الْعَمَلِ الْجَيِّدِ الْأَكْمَلِ، فَقَدْ يَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ طَرِيقَ عِبَادَتِهِ، وَوَهَبَكَ الصَّحَّةَ

(١) سورة الكهف / ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) سورة الكهف / ١١٠ .

وَالْعَافِيَةَ، وَمَا لَا يُحِصَّى مِنَ النُّعَمِ الْوَافِيَةِ، فَمَا لَكَ تَرْضَى بِالدُّونِ؟ ﴿أَتَشَبَّهُونَ كَذَلِكَ هُوَ أَدَفَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(١)، وَإِنَّكَ لَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا يَرْجُوهُ غَيْرُكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَتَرْجُو جَنَّتَهُ، فَاحْرِصْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - عَلَى إِحْسَانِ الْعَمَلِ وَالسُّلُوكِ؛ فَمَنْ شَاءَ أَهْلَ إِلْسَامٍ قِيَامُهُمْ بِالإِحْسَانِ، وَحَرْصُهُمْ عَلَى الإِتْقَانِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى الإِحْسَانِ فِي جَمِيعِ شُؤُونِكُمْ، فِيمَا تَعْتَقِدُونَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيمَا تَنْتَفَظُونَ بِهِ مِنْ الْفَاظِ، وَفِيمَا تَأْتُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، حَتَّى تُجَازَوْا بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئَاتِ عَفْوًا وَغُفرَانًا.

أُقُولُ قُولِيَّ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** * *** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ شَانَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَعْلَى أَقْدَارَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ، أَحْمَدَهُ عَلَى نِعَمِهِ الْعِظَامِ، وَأَشَكْرُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَحْبِهِ ذُوي الْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ، وَعَلَى كُلِّ تَابِعٍ هُمَّامٍ، إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ وَالْقِيَامِ. أَمَّا بَعْدُ، فِيهَا عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَخْلَاقًا يُحِبُّ مَنْ تَخلَّقَ بِهَا بِاعْتِبَارِهِ مُحْسِنًا فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُنِفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ وَالْكَبَّازِيَّةِ الْغَيْظَ وَالْعَافِيَةِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وَهَذَا مَنهَجٌ وَأَضْحَى فِي كِيَفِيَةِ تَعَامِلِ الْإِنْسَانِ مَعَ الْخَلْقِ، فَاحْرِصْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - عَلَى إِحْسَانِ مُعَامَلَتِكَ بَدْءًا مِنَ الصَّدْقِ فِيمَا تَقُولُ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْكَذِبِ فِيمَا تَتَطَقُّ، وَأَنْ تَقِيَ إِذَا وَعَدْتَ، وَأَنْ تَكُونَ مَعَ عَهْدِكَ إِذَا عَاهَدْتَ، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا﴾^(٣)، وَأَنْ تَكُونَ بَعِيدًا عَنِ

(١) سورة البقرة / ٦١ .

(٢) سورة آل عمران / ١٣٤ .

(٣) سورة الإسراء / ٣٤ .

الخيانة وشهادة الزور والغيبة والنسمة، وسائل آفات اللسان، حتى تكون من أهل الإحسان، ول يكن سلوكك مطابقاً لمبادئ الإسلام وقيم الدين القويم، سابق إلى فعل الصالحات؛ من بِرِّ الوالدين، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء أكان ذلك بقلبك أم بسلانك أم بيده، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واجعل منهجك في التعامل قول الله تعالى: «ولَا سَتُوْلَ الْحَسَنَةُ وَلَا سَيْئَةٌ أَدْفَعَ بِالْتَّى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِي حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا أَلَّذِي صَبَرُوا وَمَا يُلْقَهَا إِلَّا دُوْ حَظٍ عَظِيمٍ»^(١).

فأنتوا الله - عباد الله -، وتقهوا في دين الله، حتى تكونوا محسنين في تعاملكم مع ربكم، وفي تعاملكم مع الخلق أجمعين «هذا بَصِيرَةُ النَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةُ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ»^(٢). هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقاد الغر المحبّلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاوة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليما: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلِئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيَّهَا أَلَّذِي ءَامَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا»^(٣).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعننا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا مغضوماً، ولا تدع فينا ولا معنا شقياً ولا محرومًا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ووحد اللهم صفوفهم، وأجمع كلمتهم على الحق، واسخر شوكة الظالمين، واكتب السلام والأمن لعبادك أجمعين.

(١) سورة فصلت / ٣٤-٣٥ .

(٢) سورة الجاثية / ٢٠ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .



اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْفِرُ أَلَا تَكَانَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْقَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَانَنَا كُلُّهُ يَا مُصْلِحَ شَأنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوْطَانَنَا وَأَعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتِكَ، وَأَيْدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرَجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».